الباب الثانى

دور الفقهاء الحضارى

في

الأندلس في القرن الخامس الهجرى

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

الدور العلمى للفقهاء

أولاً : الدور العلمى للفقهاء فى العلوم الشرعية واللغوية

أ ـ العلوم الشرعية : الفقه ـ الحديث ـ علوم القرآن

ب ـ العلوم اللغوية : اللغة ـ الأدب ـ التاريخ والأخبار.

ثانياً:الدور العلمى للفقهاء فى العلوم العقلية والعملية

أ ـ الفلسفة (الجدل والكلام) ـ المناظرات العلمية

ب ـ علم الهيئة والجغرافيا .

ج ـ الرياضيات (الحساب والهندسة) .

د ـ الطب .

obeikandl.com

obeikandl.com

إذا كان للاضطراب السياسى فى الأندلس خلال القرن الخامس الهجرى أثره على الفقهاء سياسياً فإن الثراء الثقافى الذى حظيت به الأندلس خلال هذا القرن بإجماع المؤرخين قد ترك طابعه على الفقهاء أيضاً ، وبخاصة وأن هذه الشريحة من المجتمع كانت تعد مرآة العصر فى ذلك الحين، وكتب التراجم الأندلسية مليئة بتراجم عدد كبير من الفقهاء الذين تركوا بصمات على الساحة العلمية والأدبية والثقافية بشكل عام فى الأندلس على الرغم من إحجام أغلبهم عن تولى المناصب السياسية والإدارية وتفرغهم بشكل كامل للعلم ، فأثروا الحياة الثقافية كما أثرت بهم أيضاً، وهذا ما سوف يتناوله هذا الفصل من حيث إلقاء الضوء على أهم مؤلفاتهم الفقهية ومدى تطورها عن مثيلتها فى عصور سابقة ، ومدى مشاركتهم فى العلوم الأخرى وانجازاتهم العلمية و المناظرات العلمية التى شاركوا فيها وأظهرت مدى نبوغهم وقدرتهم .

أولاً : الدور العلمى للفقهاء فى العلوم الشرعية واللغوية

كان من الطبيعى أن يحدث تطور فى مؤلفات فقهاء الأندلس فى القرن الخامس الهجرى عن سابقتها فى القرن الرابع نظراً لما تطلبته قضايا القرن الخامس ، فقد اقتصرت مؤلفات فقهاء القرن الرابع على شروح ومختصرات للموطأ والمدونة وغيرها من أمهات الكتب المتعلقة بمذهب الإمام مالك ، وباستثناء الكتب القليلة العدد التى تناولت المذاهب الأخرى فإن أغلب الكتب فى هذا القرن قد دارت حول المذهب المالكى .

أما فقهاء القرن الخامس الهجرى فقد اتسع علمهم وبدأوا يتطلعون إلى المذاهب الأخرى ويولوها اهتمامهم بالدراسة والشرح، هذا بالإضافة إلى وجود الكتب الأصولية مثل كتاب (الإحكام فى أصول الأحكام) لابن حزم ، وكتاب (إحكام الفصول وأحكام الأصول) للباجى وغير ذلك . ولعل السبب المباشر فى هذا التطور الملحوظ لفقهاء القرن الخامس ما حدث من تطور فى رحلاتهم إلى الشرق فى عصر الإمارة الأندلسية التى كانت

قاصرة على أداء فريضة الحج والذهاب إلى الحجاز حيث كان يقيم الإمام مالك ، ثم توسعت فى القرن الخامس فشملت مصر والشام والعراق وبلاد المغرب وإفريقية.

الفقه والحديث :

إنتشرت فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى كتب الفقه مع استمرار الكتب الخاصة بالشروح والمختصرات وشروح الشروح واختصار المختصرات الخاصة بمصادر المذهب المالكى ، كما وجدت كتب فقهية تعنى بجمع المسائل الخاصة بفقيه معين وأحكامه فيها والتعليق عليها ويقصد بها كتب النوازل والتى تعد تكريساً لخبرة الفقهاء فى الأقضية والأحكام كى يستفيد منها الفقهاء فى العصور اللاحقة ، كما تساعدهم على تطوير أحكامهم . وتتميز كتب النوازل الفقهية بنقلها لأحوال الأندلس الاجتماعية والاقتصادية بصورة واضحة ، ولابد أن يكون لسوء الأوضاع السياسية فى الأندلس خلال هذا القرن موضوع الدراسة أثره على الأحوال الاجتماعية والاقتصادية من خلال هذه النوازل.

ومن رأى " ابن خلدون " أن الفقه قد انقسم إلى طريقتين طريقة الرأى والقياس وتمثلت فى أهل العراق ، وطريقة الحديث وتمثلت فى أهل الحجاز ، وانتشر القياس بين أصحاب مالك ، ثم أنكر القياس طائفة من العلماء وهم الظاهرية وجعلوا المدارك كلها منحصرة فى النصوص والإجماع ، ولذا كان الغالب على الأندلس الرأى والقياس . أما الظاهرية فتمثلت فى فئة معارضة من الفقهاء على رأسهم " ابن حزم " ، وقد وصل التنافس بين المالكية والظاهرية إلى أوجه فى القرن الخامس الهجرى لأن الفقيه " ابن حزم " تعرض للكثير من أئمة المسلمين وخالف الظاهرية فى بعض الأمور فتعرض لنقم الناس وحظر بيع كتبه بل وحرقها (١) .

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

ويجدر الإشارة إلى أن مؤلفات الفقهاء فى هذه الحقبة يصعب على الباحث حصرها ولهذا ستقتصر الإشارة على نماذج منها . فممن ألف فى الفقه الفقيه " أبو عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن إبراهيم بن أبى زمنين "(ت. ٣٩٩هـ/١٠٠٧م) وله كتاب المنتخب فى الأحكام (٢) ، ويقع فى عشرة أجزاء فى سفرين تحتوى على مسائل الأقضية والأحكام المختلفة ، وقد ركز فيها المؤلف على الفقه المالكى ، وسجل آراء فقهاء المالكية وأحكامهم ، فأصبح هذا الكتاب مصدراً إعتمد عليه الفقهاء فيما بعد فى إصدار أحكامه مثل القاضى " أبوالأصبغ عيسى بن سهل " الذى استعان به فى تأليف كتاب (الأحكام الكبرى) (٣) .

ومنهم الفقيه " أبو عبدالله بن الحذاء " (ت. ٤١٦هـ/١٠٢٤م) وله كتاب (الاستنباط لمعانى السنن والأحكام من أحاديث الموطأ) فى أربعة أسفار (٤) . والفقيه "يونس بن عبد الله بن مغيث بن الصفار"(ت. ٤٢٨هـ/١٠٣٦م) وله كتاب (الموعب فى تفسير الموطأ) (٥) . والفقيه " الحسن بن أيوب الأنصارى " (ت. ٤٢٥هـ/١٠٣٣م) وله كتاب (مسائل ابن زرب) فى أربعة أجزاء (٦) .

ومن الفقهاء الذين كتبوا النوازل الفقهية الفقيه " عيسى بن سهل بن عبدالله الأسدى " (ت. ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) وله كتاب (الإعلام بنوازل الأحكام) الذى اعتمد عليه الكثير من الفقهاء وكانت نوازله مرآة لعصره ساعدت على فك الكثير من جوانب

---

(٢) أنظر محمد عبد الوهاب خلاف : الفقيه أبو عبد الله بن أبى زمنين ومخطوطة منتخب الأحكام ، معهد المخطوطات العربية ، مج ٣ ، جـ ١ ، يناير،سنة١٩٨٦م ، شوال ١٤٠٦هـ ، ص ٢٢٧ . وتعد الحقبة التى عاش فيها هذا الفقيه خارج نطاق البحث ، لكن استمرار تأثيره من خلال تلاميذه الذين تأثروا بمؤلفاته وآرائه وميوله فى القرن الخامس الهجرى كان مدعاة للإشارة إلى دوره .

(٣) محمد عبدالوهاب خلاف : الفقيه ابن أبى زمنين ، ص ٢٢٥ .

(٤) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٧٣٤ .؛ ابن فرحون : الديباج ، جـ ١ ، ص٣٨ .؛ ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٤٨٠ .

(٥) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٧٣٩ .؛ ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص٦٤٦ .؛ النباهى : قضاة الأندلس ، ص ٩٥،٩٦ .؛ ابن فرحون : الديباج ، جـ ٢ ، ص ٣٧٥ .

(٦) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٤١٥ .

الغموض[٧] . كما اشتهرت نوازل الفقيه " أبو المطرف الشعبى " (ت. ٤٩٩هـ١١٠٧م) الذى كان بصيراً بالنوازل حتى قال عنه النباهى :" له مجموع نبيل فى نوازل الأحكام يقرب من مفيد بن هشام إلا جملة تقاييد فى مسائل " [٨] .

ومن أشهر فقهاء هذا القرن الفقيه"أبو محمد على بن سعيد بن حزم " (ت. ٤٥٦هـ١٠٦٤م) الذى عرف بغزارة مؤلفاته وشهرتها[٩] ، ومن مؤلفاته فى الفقه كتاب (الإحكام فى أصول الأحكام) وهو عبارة عن مجلدين من ثمانية أجزاء تحدث فيها عن الإجماع والقياس والاستحسان والاستنباط والتقليد وغير ذلك من الموضوعات التى شغلت الفقهاء [١٠] .

ومن أقطاب هذا العصر فى الفقه الفقيه " أبوعمر يوسف بن عبدالبر" (ت. ٤٦٣هـ١٠٧١م) ومن مؤلفاته الفقهية كتاب(التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد) وكتاب(الاستذكار فى شرح مذاهب علماء الأمصار)[١١] ،وكتاب(التقصى لحديث الموطأ أو تجريد التمهيد) [١٢] .

ومن الفقهاء الأعلام فى القرن الخامس الهجرى الفقيه " أبو الوليد سليمان خلف ابن وارث الباجى "(ت٤٧٤هـ١٠٧٢م) ، وأبرز ماوصف به هذا الفقيه من قبل أشد خصومه يعد وصفاً دقيقاً لدوره ومكانته وأثره ، فقد قال عنه ابن حزم :" لو لم يكن لأصحاب المذهب المالكى بعد عبدالوهاب (قاضى مالكى وزعيم المالكية بالمشرق) مثل أبى الوليد الباجى لكفاهم " [١٣] . وقد ألف العديد من الكتب مثل كتاب (المنتقى) وهو شرح لكتاب الموطأ من سبعة أجزاء ، وهو مختصر لكتابه (الاستيفاء)

(٧) النباهى : قضاة الأندلس ، ص ٩٧ .
(٨) نفس المصدر ، ص ٩٧ .
(٩)الحميدى:الجذوة،ق٢،ص٤٨٩ .؛ القفطى : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، المتنبى ، القاهرة – ب . ت ، ص ١٥٦
(١٠) ابن حزم : الإحكام فى أصول الأحكام،المقدمة .
(١١) ابن خير : فهرسه مارواه عن شيوخه ، ، ص ٨٦ .؛ الزركلى : الأعلام ، جـ ٨ ، ص ٤٠ .
(١٢) ابن خير :نفسه، ص ٩١ .
(١٣) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢، ص ٢٧٨ .

ويعد أفضل كتاب ألف لشرح مذهب مالك [١٤] . وله كتاب (إحكام الفصول فى أحكام الأصول) ويعتبر هذا الكتاب من أجل الكتب الأصولية حيث أورد فيه " الباجى " الكثير من آراء العلماء السابقين له والمعاصرين من المذاهب المختلفة المالكية والشافعية والحنبلية والحنفية والظاهرى فى بعض الأحيان ، كما أنه حرص على إبراز الآراء المالكية ولم يقتد بها بل خالفها فى كثير من الأحيان [١٥] . كما ألف " الباجى " رسالة فى الحدود وهى عبارة عن مجموعة تعريفات للعلم الضرورى والعلم النظرى والاعتقاد والجهل والظن والشك والسهو والعقل والفقه وأصوله والدال والمستدل والمستدل عليه والاستدلال والبيان والهداية والنص والظاهر والعموم والخصوص والمجمل والمفسر والمحكم والتشابه والحقيقة والمجاز والأمر والواجب والمندوب إليه والمباح والسنة والعبادة والحسن والظلم والجائز والشرط والخبر والصدق والتواتر والمسند والموقوف والإجماع والتقليد والاجتهاد والرأى والاستحسان والذرائع والقياس والأصل والفرع والعلة وأنواعها والظن والعكس والطرد والتأثير والنقد والكسر والقلب والمعارضة والترجيح والانقطاع [١٦] .

والفقيه " أبوعبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكرى " (ت. ٤٨٧هـ ١٠٩٥م) وله عدة مؤلفات فى الفقه مثل كتاب (أعلام نبوة محمد (صلى الله علية وسلم) وكتاب (المؤتلف والمختلف) [١٧] .

أما فى علم الحديث فقد جعل الأندلسيون موطأ مالك من أصول كتب الحديث لأنه كان إمام محدثى المدينة فى عصره ، وكان أول فقيه وجه أنظار المسلمين إلى ضرورة الاعتماد على الحديث باعتباره أحد أصلين قام عليهما الفقه المالكى ، وإذا كان فقهاء الأندلس المالكيون قد اعتبروا أن إعتماد " بقى بن مخلد " و " محمد بن وضاح " ثائرين على

(١٤) الباجى : المنتقى .
(١٥) الباجى : إحكام الفصول فى أحكام الأصول ، ص ٣٣ .
(١٦) الباجى : رسالة فى الحدود الإسلامية
(١٧) ابن خير : فهرسه مارواه عن شيوخه ، ص ٢١٩ .

الفقه المالكى ، ولكنها فى الحقيقة عودة إلى جذور المالكية أو أصول الفقه المالكى الذى اعتمد على الحديث والسنة ، ولأن مالك كان محدثاً ، فإن كثيراً من فقهاء المالكية فى الأندلس قد برعوا فى علم الحديث ، وبالتالى تعد حركة " بقى بن مخلد " و" محمد بن وضاح " رجوع إلى المالكية فى صفائها الأول (١٨) .

ومن علوم الحديث النظر فى الأسانيد التى كان من أشهرها كتاب (مسند البخارى) إمام المحدثين فى عصره الذى أخرج أحاديث السنة على أبوابها فى مسنده الصحيح بجميع الطرق للحجازيين والعراقيين والشاميين ، واعتمد منها ماأجمعوا عليه دون مااختلفوا فيه ، ولكنه كرر كثيراً من الأحاديث فى عدة أبواب ، واشتمل المسند على تسعة آلاف وأربعمائة حديث منها ثلاثمائة حديث متكرر ، ثم ألف الإمام " مسلم " مسنده الصحيح الذى حذا فيه حذو البخارى وحذف المتكرر من الأحاديث (١٩)

وقد كثرت عناية علماء المغرب بالحديث وانكبوا عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخارى للسبب السابق ذكره (٢٠) ، وإن كان مسند الإمام " مسلم " أكثر إنتشاراً فى الأندلس لأنهم أخذوه عن أهل المغرب ، وقد ألف عليه الإمام " المازرى " شروحاً وسماه (المعلم بفوائد مسلم) وهو كتاب جمع بين علمى الحديث والفقه ، ثم أكمله " القاضى عياض " فى كتاب أسماه (إكمال المعلم) ، وبعدهما " النووى " الذى تناول شروح الكتابين ثم زاد عليهما فجاء شرحاً وافياً (٢١) .

ومن العلماء الذين اهتموا بعلم الحديث " أبو المطرف عبدالرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس بن أصبغ بن فطيس بن سليمان " (ت٤٠٢هـ١٠١٠م)، فكان من جهابذة المحدثين وكبار العلماء والمسندين ، حافظاً للحديث وعلله، له عناية كاملة بتقييد السنن

(١٨) سالم يفوت : ابن حزم والفكر الفلسفى فى الأندلس ، ص ١٠٩ .
(١٩) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .
(٢٠) نفس المصدر ، ص ٣٥١ ، ٣٥٢ .
(٢١) نفسه .

والأحاديث المشهورة والحكايات المسندة جامعاً لها مجتهداً فى سماعها وروايتها،وكان يملى الحديث من حفظه فى مسجده،وله كتاب (الأخوة من المحدثين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين) من أربعين جزءاً ، وكتاب (مسند حديث محمد بن فطيس) (٢٢) .

ومن هؤلاء العلماء الفقيه " عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن بن جحاف المعافرى " فقيه وقاضى ببلنسية ، سمع الحديث من " خلف بن هانئ " وكان والده عبدالله فقيهاً ومحدثاً أيضاً (٢٣) . والفقيه " إبراهيم بن محمد بن حسين بن شيظر الأموى " (ت. ٤٠٢هـ١٠١٠م) من طليطلة ويكنى أبا إسحاق ، له رحلة إلى المشرق وكان زاهداً فاضلاً غلب عليه علم الحديث والتميز له (٢٤) . والفقيه " أحمد بن قاسم بن محمد بن يوسف التجيبى " (ت. ٤٠٣هـ١٠١١م) ، من أهل طليطلة ويعرف بابن أرفع رأسه ، بصيراً بالحديث وعلله إضافة إلى كونه فقيهاً جليلاً (٢٥) . والفقيه " أبو القاسم المهلب أحمد بن أسيد بن أبى صفرة التميمى"(ت. ٤٢٠هـ١٠٢٨م) ، فهو فقيه محدث له كتاب فى الحديث مسماه (النصح فى إختيار الصحيح) (٢٦) .

وللفقيه " ابن حزم " مشاركات فى علم الحديث لاعتنائه به عناية شديدة ذلك لأن الحديث جزء هام من المذهب الظاهرى ولهذا فإن أنصاره جعلوا السنة هدفاً لدراستهم(٢٧) . وانتقد " ابن حزم " المالكيين لأنهم جمدوا الفقه على كتب المدونة والمستخرجة أو كتب المسائل وتركوا روح المذهب المالكى وقاموا بتقليد أصحاب المذهب

(٢٢) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٢٩٨ .؛ ابن فرحون : الديباج ، جـ ١ ، ص ٤٧٨ .
(٢٣) الحميدى : جذوة المقتبس ، ق ٢ ، ص ٤٣٧ .
(٢٤) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٩٢ .
(٢٥) ابن بشكوال :نفسه ،ص ٥٦ .
(٢٦) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٨٢٤ .؛ ابن فرحون : الديباج ،جـ٢،ص٢٣٥ .
(٢٧) جمعة شيخة : الحياة الفكرية والأدبية بالجزائر الشرقية فى القرن الخامس والسادس الهجرى ، الملتقى العربى الأسبانى ، المعهد الأسبانى العربى للثقافة- بمدريد،سنة ١٩٨٣م ، ص ١٠٣ .

مما أدى إلى ضعف علم الحديث وعدم معرفة صحيحة من سقيمه (٢٨) . ومن مؤلفاته فى هذا العلم كتاب (الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة لمجمل شرائع الإسلام فى الواجب والحلال والحرام وسائر الأحكام على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع) وقد أورد فيه أسماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين فى مسائل الفقه والحجة لكل طائفة منها والأحاديث الواردة الصحيح والسقيم بالأسانيد (٢٩) .

ومن كبار المحدثين فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى أيضاً الفقيه المحدث "أبو عمر بن عبدالبر" الذى قال عنه الباجى :" أنه لم يكن بالأندلس مثله فى الحديث"(٣٠) ، وقد سبقت الإشارة إلى مؤلفاته .

علوم القرآن(التفسير والقراءات)

وأما التفسير، فالمعروف أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا يفهمونه ويعلمون معانيه فى مفرداته وتراكيبه ، وكان ينزل جملاً جملاً وآيات آيات ، لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع ، ومنها ما هو فى العقائد الإيمانية ومنها ما هو فى أحكام الجوارح ، ومنها ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون ناسخاً له فكان النبى(ﷺ) يبين المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه أصحابه فعرفوه ، وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولاً عنه ، ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، وتداول ذلك التابعون من بعدهم ، ونقل ذلك عنهم ، " ولم يزل ذلك متناقلاً بين الصدر الأول والسلف حتى صارت المعارف علوماً ، ودونت الكتب ، وكتب الكثير من ذلك ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين ، وانتهى ذلك إلى " الطبرى " و "الواقدى" و " الثعالبى " وأمثالهم من المفسرين ، فكتبوا فيه ماشاء الله أن يكتبوه من الآثار " (٣١) .

---

(٢٨) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والاجتماعى ، جـ ٤ ، ١٩٨٣م ، ص٤٤٨ ، ٤٤٩ .؛ سالم يفوت : ابن حزم والفكر الفلسفى ، ص ١٠٩ .

(٢٩) الحميدى : جذوة المقتبس ، ق ٢ ، ص ٤٩٠ .

(٣٠) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ،ص ٨٢٥ .

(٣١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

ثم صارت علوم اللسان صناعة من الكلام فى موضوعات اللغة وأحكام الإعراب والبلاغة فى التراكيب ، فوضعت المؤلفات فى ذلك ، فاحتيج إلى ذلك فى تفسير القرآن لأنه بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم ، وصار تفسير القرآن على طريقتين : تفسير نقلى مستند إلى الآثار المنقولة عن السلف وهى معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآيات وذلك بالنقل عن الصحابة والتابعين (٣٢) . وقد جمع المتقدمون ذلك إلا أن كتبهم ومنقولاتهم إشتملت على الغث والسمين والمقبول والمردود ، ثم رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص ، وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب ، فلخص تلك التفاسير كلها وتحرى ماهو أقرب إلى الصحة فيها ، ووضع ذلك فى كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس ، وتبعه القرطبى فى تلك الطريقة على منهاج واحد فى كتاب آخر مشهور (تفسير القرطبى) (٣٣) . أما الطريقة الأخرى فى التفسير ، وهو مايرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة فى تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب (٣٤) .

على أية حال فإن فقهاء الأندلس فى القرن الخامس الهجرى كانت لهم مشاركة فى التفسير كما كانت لمن سبقهم مثل الفقيه " أبو عبدالرحمن بقى بن مخلد " الذى أشاد "ابن حزم" فى رسالته بكتابه فى تفسير القرآن وذكر أنه لم يؤلف مثله فى الإسلام (٣٥) ومن فقهاء القرن الخامس الذين اهتموا بالتفسيرالفقيه"هشام بن عبدالرحمن بن عبدالله"(ت٤٢٣هـ١٠٣١م) المعروف بابن الصابونى ، من أهل قرطبة ، وله كتاب فى تفسير البخارى على حروف المعجم (٣٦) . والفقيه " أبو محمد بن الشقاق " (ت. ٤٢٦هـ١٠٣٤م) الذى كانت له مشاركات فى التفسير (٣٧) . وقد أشار " ابن سعيد"

(٣٢) نفس المصدر ، ص ٢٤٨ ، ٣٤٩ .
(٣٣) نفسه ، ص ٣٤٩ .
(٣٤) نفسه ، ص ٣٥٠ .
(٣٥) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ١٦٥ .؛ رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس . تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم فى نفح الطيب ، ص ١٧٤ .
(٣٦) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٦١٥ .
(٣٧) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٧٢٩ .

فى تذييله لرسالة ابن حزم إلى كتاب (الهداية إلى بلوغ النهاية) الذى صنفه الفقيه " أبو محمد مكى بن أبى طالب القرطبى " (ت. ٤٣٧هـ١٠٤٥م) وهو من عشرة أسفار ولنفس الفقيه كتاب آخر هو (تفسير إعراب القرآن) . وكذلك الفقيه "عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الخشنى " (ت. ٤٤٧هـ١٠٥٥م) والمعروف بابن أبى جعفر الذى قال عنه ابن بشكوال أنه كان عارفاً بالتفسير(٣٨) . والفقيه " أحمد بن مغيث ابن أحمد بن مغيث الصدفى"(ت. ٤٥٩هـ١٠٦٧م) فكان فقيهاً محدثاً مفسراً (٣٩) .

أما عن علم القراءات فقد ساهم الفقهاء مساهمة فعالة فى علم القراءات وبخاصة أنه لقى تشجيعاً من الحكام مثل " مجاهد العامرى " حاكم دانية والجزائر الشرقية الذى شجع هذا العلم وغيره من العلوم (٤٠) . ومن هؤلاء الفقهاء الفقيه " أحمد بن قاسم بن عيسى بن فرج بن عيسى اللخمى المقرئ " (ت. ٤١٠هـ١٠١٨م) الذى كانت له مؤلفات فى معانى القراءات أخذها الناس عنه (٤١) . والفقيه " أحمد بن عبدالقادر بن سعيد بن أحمد ابن عبدالقادر الأموى " (ت. ٤٢٠هـ١٠٢٨م) الذى ألف كتاب (التحقيق) فى القراءات السبع يتكون من سفرين (٤٢) . والفقيه " سعيد بن يحيى بن محمد بن سلمة التنوخى "(ت. ٤٢٦هـ١٠٣٤م) الذى كانت له تواليف فى القراءات وقال عنه ابن بشكوال أنه كان مجوداً للقرآن حافظاً لقراءاته (٤٣) . والفقيه " أبو محمد بن الشقاق " الذى كان يقرأ الناس القراءات السبع ويضبطها ضبطاً جيداً (٤٤) . والفقيه " مكى بن أبى طالب بن محمد بن مختار القيسى المقرئ "الذى كان مجوداً للقراءات السبع وله عدة مؤلفات

---

(٣٨) الصلة ، جـ ١ ، ص ٢٨٤ .
(٣٩) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٦٣ .
(٤٠) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٢١١ .؛ كليليا سارنللى : مجاهد العامرى قائد الأسطول فى غرب البحر المتوسط ، ص ٢٣٩ .
(٤١) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٣٦ .
(٤٢) نفس المصدر ، ص ٤٤ .
(٤٣) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٢١٤ .
(٤٤) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٧٢٩ .؛ ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص٢٠٩ .

منها كتاب (الرعاية لتجويد القرآن) و(إنتخاب نظم القرآن) و(التذكرة فى القراءات السبع)و (التنبيه) و(المنتخب)و(الإبانة عن معانى القراءات) و (الكشف عن وجوه القراءات السبع) وغير ذلك (٤٥) . أما إمام القراءات فى القرن الخامس الهجرى فهو الفقيه " عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموى المقرئ " المعروف بابن الصيرفى (ت. ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م) الذى ألف العديد من المؤلفات مثل (التحديد فى معرفة التجويد لتلاوة القرآن) و(الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواه وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات) و (تاريخ طبقات القراء والمقرئين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين) (٤٦) .

كما كانت للفقيه " أبى الوليد الباجى " مساهمته فى علم القراءات بكتابه (الناسخ والمنسوخ) (٤٧) . وهناك العديد من الفقهاء من أمثال " محمد بن عيسى بن فرج بن إسحاق المقرئ " والفقيه " سليمان بن أبى القاسم نجاح " والفقيه " العاصى بن خلف بن محرز المقرئ " وغيرهم .

ومن العلوم التى حازت على إهتمام الفقهاء علم تفسير الرؤيا القائم على تفسير قول رسول الله (ﷺ) :" الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة " (٤٨) ، وإن كان ابن حزم قد ذكر فى ذلك أنه " طبع فى المعبر مع عون العلم عليه ولا يقطع بصحته إلا بعد ظهور ذلك عليه لاقبله " (٤٩) . وقد ظهرت العديد من المؤلفات فى هذا العلم على طول القرن الخامس الهجرى .

---

(٤٥) الحميدى : جذوة المقتبس ، ق ٢ ، ص ٥٦١ .؛ القاضى عياض : نفس المصدر ، ص ٧٣٨ .؛ ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢،ص ٥٩٧- ٥٩٩ .؛ ابن خير: فهرسه مارواه عن شيوخه،ص ٤٠، ٤١،٤٣،٥١ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٦ .

(٤٦) الحموى : معجم الأدباء ، جـ ٦ ، ص ٣٥ .؛ ابن خير : فهرسه ، ص٤١، ٧٢ .؛ المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٣٣٩ .

(٤٧) ابن فرحون : الديباج ، جـ ١ ، ص ٣٨٥ .

(٤٨) الإمام مالك : الموطأ ، تحقيق :محمد فؤاد عبدالباقى ، جـ ٢ ، ص ٩٥٦ .

(٤٩) رسالة مراتب العلوم ، جـ ٤ ، ص ٨١ .

ب : العلوم اللغوية

اللغة والأدب :

أولى أهل الأندلس اللغة العربية عناية خاصة منذ العصر الأموى ، وقد اعتمدت فى بداية الأمر على مصنفات العلماء المشارقة الوافدين أو مااستجلبه العلماء الأندلسيون من المصنفات اللغوية فى رحلاتهم إلى المشرق (٥٠) . وكان من أبرز علماء اللغة الذين جلبت مصنفاتهم كتاب سيبويه وكتاب الكسائى وأبو على القالى وابن السمينة (٥١) .

وكانت مبادئ التعليم فى الأندلس تعتمد بشكل عام على العلوم الدينية والعلوم اللغوية ، ولهذا ارتبط الفقهاء بعلوم اللغة وبرعوا فى إجادتها . وقد عرف " ابن خلدون " علم اللغة بأنه بيان الموضوعات اللغوية وماسماه أهل النحو الإعراب ، وعرض للكثير من الأوائل الذين اهتموا بهذه العلوم مثل " الخليل بن أحمد " و" ابن سيدة " (٥٢) . أما " ابن حزم " فقد أرجع دراسة اللغة إلى كتابين (الغريب المصنف) لأبى عبيد و (مختصر العين) للزبيدى (٥٣) .

أما " المقرى " فقد أشار إلى أن ملوك الطوائف قد شجعوا الأدباء والشعراء فقال" ولما ثار بعد إنتشار هذا النظام ملوك الطوائف وتفرقوا فى البلاد كان فى تفرقهم إجتماع على النعم لفضلاء العباد ، إذ نفقوا سوق العلوم وتباروا فى المثوبة على المنثور والمنظوم ، فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول العالم الفلانى عند الملك الفلانى والشاعر الفلانى مختص بالملك الفلانى وليس منهم إلا من بذل وسعه فى المكارم " (٥٤) .

---

(٥٠) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، ص ١٨٠ .؛ محمد أبو الفضل : تاريخ المرية الأندلسية ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .
(٥١) السيوطى : بغية الوعاه ، جـ ١، جـ ٢ ، صفحات متعددة .
(٥٢) المقدمة ، ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ .؛ المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ١٨٥ .
(٥٣) رسالته فى مراتب العلوم ، جـ ٤ ، ص ٦٧ .
(٥٤) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ـ ص ١٨٣ .

ولعل فيما ورد عن المقرى إشارة إلى ما كان فى القرن الخامس الهجرى من ثراء أدبى ، والفقيه " الحسن بن أيوب الأنصارى "(ت . ٤٢٥هـ١٠٣٣م) أبى على والذى كان وافر الحظ من الأدب والشعر وبخاصة فى الزهد والرثاء (٥٥) . والفقيه " عبد الملك بن سليمان بن عمر بن عبدالعزيز الأموى " (ت. ٤٢٩هـ١٠٣٧م) وعرف بابن القوطية ، كان عالماً باللغة العربية ويعد واحداً من أقطابها (٥٦) . والفقيه "عبدالرحمن بن أحمد بن خلف" (ت. ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) والمعروف بابن الحوات الذى أجاد الأدب والشعر إلى جانب الفقه (٥٧) . والفقيه " محمد بن إبراهيم بن موسى بن عبدالسلام الأنصارى " (ت. ٤٥٥هـ١٠٦٣م) والمعروف بابن شق الليل الذى أجاد الأدب والشعر (٥٨) .

ومن أجل الفقهاء الذين تركوا بصماتهم على الأدب الفقيه " ابن حزم " الذى أشتهر بالأدب إلى جانب الفقه لكثرة مؤلفاته الأدبية ، ومن أهم مؤلفاته كتاب (طوق الحمامة فى الألفة والآلاف) الذى صور فيه المشاعر الإنسانية والعلاقة بين الرجل والمرأة فى هذه الفترة (٥٩) ، وكتاب (مداواة النفوس فى الأخلاق والسير) الذى تحدث فيه عن الصفات الحسنة والشمائل التى يجب أن يتحلى بها الإنسان (٦٠) .

وشارك العديد من الفقهاء فى هذا الميدان مثل الفقيه " محمد بن أحمد بن محمد " (ت. ٤٦٠هـ١٠٦٨م) وكنيته أبى العباس الذى كان عالماً بالنحو واللغة والأدب وله العديد من المؤلفات مثل (شرح فى غريب المصنف لأبى عبيد) و (شرح أدب الكتاب) الذى ناقض فيه " أبى محمد البطليوسى " (٦١) . والفقيه " عبدالله بن فرج بن غزلون اليحصبى " المعروف بابن العسال ، والفقيه " أبو عبيد البكرى " (ت. ٤٨٧هـ١٠٩٥م) الذى ألف

(٥٥) ابن بشكوال : الصلة ، جـ١ – ص ١٩٤ .
(٥٦) الثعالبى : يتيمة الدهر ، ت. مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،سنة١٩٨٤م ، جـ٢ ، ص ٨٣ .
(٥٧) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٥٠٦ .
(٥٨) نفس المصدر ، ص ٥١١ .؛ السيوطى : بغية الوعاه ، جـ ١ ، ص ١٥ .
(٥٩) ابن حزم : طوق الحمامة فى الألفة والآلاف ، ت. الطاهر مكى ، دار المعارف ، القاهرة ، طـ٥ ، سنة ١٩٩٣م.
(٦٠) ابن حزم : مداواة النفوس فى الأخلاق والسير ، ت. إحسان عباس ، جـ ١ ، من رسائل ابن حزم .
(٦١) ابن الأبار : التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٤ .

كتاب (معجم مااستعجم) وكتاب (شرح أمثال عبيد) [٦٢] . والفقيه " أحمد بن عبدالولى بن أحمد بن عبدالولى البتى " (ت. ٤٨٨هـ١٠٩٦م) وكنيته أبى جعفر الذى كان كاتباً وشاعراً بليغاً قائماً على الأدب والنحو واللغة [٦٣].والفقيه "أبو الوليد الوقشى " (ت. ٤٨٩هـ١٠٩٧م) ويعد من أشهر الفقهاء الذين برعوا فى الأدب ودرسوه بشتى أنواعه فقرض الشعر ودرس النحو والأدب والخطابة [٦٤].

وفيما يلى عرض لبعض جوانب الحياة الأدبية فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى :

أ. الشعر:

أرجع " ابن خلدون " أصول هذا الفن إلى أربعة دواوين هى أدب الكاتب لابن قتيبة والكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ والنوادر لابى على القالى البغدادى وماسواهم فروع حتى ألف " أبو الفرج الأصفهانى " كتاب (الأغانى) الذى جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم وجعل مبناه على الغناء فى المائة صوت التى اختارها المغنون للرشيد،وقد اعتبره "ابن خلدون"ديوان العرب وجامع أشتات المحاسن[٦٥] .

ويأتى الشعر فى صدارة فروع الأدب الكثيرة ،وقد برع فيه الكثير من الفقهاء بشكل أسهم فى زيادة شعبيتهم وبخاصة ماعرف عن الأندلسيين من ولع بالشعر الذى إزداد فى عصر ملوك الطوائف . ففى هذا العصر كان الشعر فى أوج إزدهاره بسبب سعى هؤلاء الملوك على تقريب الشعراء وتقديرهم وتشجيعهم على ذكر المزيد منه . وعلى الرغم من أن الشعر يعد بعيداً عن ميول علماء الدين وفقاً لما ورد فى القرآن الكريم إلا أن تقويم الإسلام للشعر قد جعل منه فناً محبباً شائعاً لدى المسلمين ، ولهذا اختار الفقهاء أغراضاً لشعرهم

(٦٢) السيوطى : بغية الوعاه ، جـ ٢ ، ص ٤٩ .
(٦٣) ابن الأبار : التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٠ .
(٦٤) ابن صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ، ت. حياة بو علوان ، ص ١٧٨ .
(٦٥) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٦٠ .

تتفق مع ميولهم حيث بعدوا به عن السفه والغزل الصريح وغير ذلك . ومع أن " ابن حزم" قد جاب هذا الميدان وأن المصادر الأدبية قد أشادت بأشعاره إلا أنه اعتبر أن الكسب من وراء الشعر يعد أمراً غير محمود حيث ذكر :" أن الإكثار من رواية الشعر هو كسب غير محمود لأنه من طريق الباطل والفضول لامن طريق الحق والفضائل ، ولا يظن ظان أن هذا علم جهلناه فذممناه فقد علم من داخلنا أو بلغه أمرنا كيف توسعنا فى رواية الشعر وكيف تمكنا من الإشراف على معانيها " (٦٦) .

ومن أبرز أغراض الشعر التى كتب فيها فقهاء الأندلس :

١. شعر الوعظ : وهذا النوع من الشعر يعد إفرازاً طبيعياً للظروف السياسية التى أدت إلى تفكك المجتمع وانفراط عقده ، وقد أراد به الفقهاء أن يصلحوا الفاسد من المجتمع ، ومن ذلك ماذكره الفقيه " أبو عبدالله بن أبى زمنين " (ت. ٣٩٩هـ١٠٠٧م) :

الموت فى كل يوم ينشر الكفنا ... ونحن فى غفلة عما يراد بنا

لا تطمئن إلى الدنيا وزخرفها ... وإن توشحت من أثوابها الحسنا (٦٧)

وكتب الفقيه " أبو الوليد بن جهور" :

إصبر فلست ترى على ... أحد حماه الصبر عارا

فالصبر أنفع ذخرة ... لو كنت آتيه اختيارا (٦٨)

وقال " أبو إسحاق الألبيرى " :

لاشئ أخسر صفقة من عالم ... لعبت به الدنيا مع الجهال

فغدا يفرق دينه أيدى سبا ... ويزيله حرصاً لجمع المال

(٦٦) ابن حزم : رسالة مراتب العلوم ، جـ ٤ ، ص ٦٩ .
(٦٧) الحميدى : جذوة المقتبس ، ق ١ ، ص ١٠١ .؛ المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ٩٦ .
(٦٨) ابن الأبار : الحلة ، جـ ١ ، ص ٢٥٠ .

مـــن لا يراقـــب ربـــه ويخافـــه تبـت يـداه ومالـه مـن وال (٦٩)

وقال " أبو عمر يوسف بن عبدالبر " :

تجـاف عن الدنيا وهون لقدرهـا ووف ســبيل الــدين بــالعروة الــوثقى

وسـارع بتقـوى الله سـراً وجهـرة فلا ذمة أقوى هديت من التقوى (٧٠)

وذكر الفقيه "أبو محمد غانم بن الوليد المخزومى "(ت. ٤٧٠هـ١٠٧٨م)

الـــصبر أولى بوقـــار الـــفتى مـــن قلـــق يهتـــك ســـتر الوقـــار

مـــن لـــزم الـــصبر علـــى حالـــه كـــان علـــى أيامـــه بالخيـــار (٧١)

واشتهر عن الباجى هذين البيتين :

إذا كنـــت أعلـــم علـــم الـــيقين بـــأن جميـــع حيـــاتى كـــساعة

فلـــم لا أكـــون ضـــنيناً بهـــا وأجعلـــها فـــى صـــلاح وطاعـــة (٧٢)

وكتب الفقيه " أبو الوليد يونس بن الوليد بن مغيث " المعروف بابن الصفار :

فـررت إليـك مـن ظلمـى لنفـسى وأوحشنى العباد فأنت أنسى

رضـاك هـوا لمنـى وبـه أفتخـارى وذكـرك فـى الـدجى قمـرى وشمـسى

قـصدت إليـك منقطعـاً غريبـاً لتـؤنس وحـدتى فـى قعـر رمـسى (٧٣)

ومن أقوال الفقيه " أبى القاسم الألبيرى " المعروف بالسميسر :

تحفـظ مـن ثيابـك ثـم صـنها وإلا ســـوف تلبـــسها حـــدادا

---

(٦٩) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ٩٥ .
(٧٠) ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٢٩٦ .
(٧١) ابن خاقان : قلائد العقيان ، جـ ٣ ، ص ٦٠٩ .
(٧٢) ابن خاقان : قلائد العقيان،جـ ٣ ، ص ٦٠٠ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٦٦م ، جـ ١٢ ، ص ١٢٢ .؛ النباهى : قضاة الأندلس ، ص ٩٥ .؛ المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٢٨٣ .
(٧٣) الحميدى : جذوة المقتبس ، ق ٢ ، ص ٦١٣ .

وميـــز فـــى زمانـــك كـــل حـــبر ونـــاظر أهلـــه تـــسد العبـــادا (٧٤)

وقال الفقيه " أبو الوليد الوقشى " :

بـــرح بـــى إن علـــوم الـــورى إثنـــان مـــاإن فيهمـــا مـــن مزيـــد

حقيقـــة يعجـــز تحـــصيلها وباطـــل تحـــصيله لايفيـــد (٧٥)

وهناك أشعار ظهر فيها تقوى الفقهاء وتقربهم إلى اللّه ، وفى هذا قال ابن حزم :

يـــارب عفـــواً فأنـــت مـــولى قـــصر فـــى أمـــرك العبيـــد (٧٦)

ومن قول " الباجى " :

الحمـــد للّه ذى الآلاء والنعـــم ومبـــدع الـــسمع والأبـــصار والكلـــم

مـن يحمـد اللّه يأتيـه المزيـد ومـن يكفـر فكـم نـعم آلـت إلى نقـم (٧٧)

ومن قول الفقيه " السميسر " :

دع عنـــك جاهـــاً ومـــالاً لا عـــيش إلا فـــى الكفـــاف

قـــوت حـــلال وأمـــن مـــن الـــردى وعفـــاف

وكل ماهو فـضل فـإنه إسـراف (٧٨)

٢ . شعر الزهد : اشتهر هذا النوع من الشعر فى القرن الخامس الهجرى عما قبله نظراً لاضطراب أحوال البلاد ، وإذا كان قد شارك فيه العديد من الشعراء إلى جانب

(٧٤) ابن سعيد : المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٠٠ .؛ المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٢٧٣ .؛ هنرى بيرس : الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف ، ت. الطاهر مكى ،سنة ١٩٨٨م ، ص ٣٨٩ .

(٧٥) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٢٧٣ .؛ هنرى بيرس : الشعر الأندلسى ، ص ٢٩٣ .

(٧٦) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص ٣٣٤ .

(٧٧) الباجى : عبدالله محمد الجبورى : مقدمة كتاب إحكام الفصول فى أحكام الأصول ، ص ٢٤ .

(٧٨) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ٢ ، ص ٨٩١ .

openkandi.com

مشاركة الفقهاء فإن مرد ذلك يرجع إلى تأثير الفقهاء بشكل عام حيث شمل ذلك التأثير أغلب أهل الأندلس لميولهم الدينية (٧٩) .

ويعد الفقيه " أبو عبد الله بن أبى زمنين " إمام هذا النوع من الشعر فى زمانه ، فإلى جانب مشاركته فيه تتلمذ على يديه العديد من الفقهاء الذين شاركوا فى هذا الشعر ومنهم الفقيه " أبو إسحاق الألبيرى " الذى امتلأ ديوانه بهذه النوعية من الشعر فقال :

وأبغضت نفسى لعصيانها ... وعاتبتها بأشد العتاب
وقلت لها بان عنك الصبا ... وجردك الشيب ثوب الشباب
ومابعد ذلك إلا البلى ... وسكنى القبور وهول الحساب
فأيقظها العتب من نومها ... ولكنها جمة الإضطراب (٨٠)

ومن أشعار " الطرطوشى " :

إن لله عباداً فطنا ... طلقوا الدنيا وخاضوا الفتيا
فكروا فيها فلما علموا ... فكروا فيها فلما علموا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا (٨١)

٣ ـ **شعر الفخر** : مع أن الفقهاء شاركوا فى هذا النوع من الشعر ولكن جعلوا له طابعاً خاصاً أصبح به مقبولاً لدى الناس ، ومن ذلك مانظمه الفقيه " ابن حزم " فقال :

أنا الشمس فى جو السماء منيرة ... ولكن عيبى أن مطلعى الغرب
ولو أننى من جانب الشرق طالع ... لجد على ماضاع من ذكرى النهب (٨٢)

---

(٧٩) جودت الركابى : فى الأدب الأندلسى ، ص ١١٨ .
(٨٠) أبو إسحاق الألبيرى : ديوانه ، ص ٩ .؛ السيد مصطفى غازى : أبو إسحاق الألبيرى ، ص٩٣ .
(٨١) ابن سعيد : المغرب ، جـ ٢ ، ص ٤٢٤ .؛ المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٤ .؛ عبدالعزيز عتيق : الأدب العربى فى الأندلس ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، طـ ٢، سنة١٩٧٦م ، ص٢٢١ .
(٨٢) الحميدى : جذوة المقتبس ، ق ٢ ، ص ٤٩٠ .؛ ياقوت الحموى : معجم الأدباء ، جـ ٥ ، ص ٩٦ .؛ ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٥٦ .

ثم عاد " ابن حزم " وتدارك الوقوع فى فخ الفخر إمتثالاً لقول الله تعالى :" إن الله لايحب كل مختال فخور" فكتب قائلاً :

وقد كان لى فى يوسف خير أسوة ... وليس على من بالنبى أئتسى ذنب
يقول مقال الحق والصدق أننى ... حفيظ عليم ماعلى صادق عتب (٨٣)

ومما قاله الفقيه " أبو عمر يوسف بن عبدالبر" :

إذا فاخرت فافخر بالعلوم ... ودع ماكان من عظم رميم
فكم أمسيت مطرحاً بجهل ... وعلمى حل بى بين النجوم
كم من وزير سار نحوى ... فلازمنى ملازمة الغريم
وكم أقبلت متئداً مهاباً ... فقام إلى من ملك عظيم (٨٤)

٤ . **شعر المدح** : على الرغم من أن الفقهاء قد شاركوا فى شعر المدح إلا أنهم أحاطوه بمحاذير فى أغلبهم فابتعدوا عن مدح الحكام والتملق إليهم لأغراض شخصية والتزموا بالمدح المعتدل والصادق فى أغلبه ، ومن أمثلة ذلك ماكتبه " أبو إسحاق الألبيرى" فى مدح استاذه القاضى"على بن توبة " وإن كان قد أفرط فى مدحه فقال :

ولو أنصفته وذاك قليل ... كان خدى لرجله كالحذاء
فأنا عبده وذاك فخارى ... وجمالى بين الورى وبهائى (٨٥)

وكتب " أبو الوليد الباجى " فى مدح قاضى العراق " أبو جعفر محمد بن أحمد السمنانى" وكذلك فى مدح " المعتضد بن عباد " :

عباد استعبدوا البرايا ... بأنعم تبلغ النعائم

(٨٣) عبدالواحد المراكشى : المعجب ، ص ٩٥ .
(٨٤) ابن سعيد : المغرب ، جـ ٢ ، ص ٤٠٨ .
(٨٥) أبو إسحاق الألبيرى : ديوانه ، ص ٤١ .

وكتب فى مدح الأمير " معزالدولة أبوعلوان بن أسد الدولة "

فحل الهوى من سر حبك آهل وصرف النوى عن شمل شوقى غافل (٨٧)

٥ . **شعر الوصف** : كان لطبيعة الأندلس الساحرة أثر على مشاعر الشعراء بشكل عام وشارك الفقهاء فى هذا النوع من الشعر . فكتب " أبو الحزم جهور بن جهور " يصف الورد قائلاً :

الورد أحسن مارأت عينى وأذكى ماسقى ماء السحاب الحائد (٨٨)

وكتب " ابن القوطية " فى وصف الربيع :

ضحك الثرى وبدا لك استبشاره فاخضر شاربه وطر عذاره (٨٩)

ووصف " أبو الوليد الوقشى " البحر قائلاً :

قد بينت فيه الطبيعة أنها تدقيق أعمال المهندس ماهرة

عنيت بمشهده فلاحظت فوقه بالمسك خطاً من محيط الدائرة (٩٠)

٦ . **شعر الغزل** : أحجم غالبية الفقهاء عن المشاركة فى هذا النوع من الشعر ، إلا أن القليل منهم قد كتب فى الغزل العفيف بعيداً عن المجون والابتذال ، فذكر " ابن بطال البطليوسى

خليلى ماللريح أضحى نسيمها يذكرنى ماقد مضى ونسيت

أبعد نذير الشيب إذ حل عارضى صبوت بأحداق المها وسبيت (٩١)

---

(٨٧) نفس المصدر ، ص ١٠٢ .
(٨٨) ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ١٨٥ .
(٨٩) نفس المصدر ، ص ٢٨٨ .؛ الحميدى : جذوة المقتبس ، ق ٢ ، ص ٦٢٣ .
(٩٠) السيوطى : بغية الوعاة ، جـ ٢ ، ص ٣٢٧ .
(٩١) ابن خاقان : قلائد العقيان ، جـ ٣ ، ص ٧١٠ .

وذكر " أبو جعفر البتى " :

غصبت الثريا فى البعاد مكانها وأودعت فى عينى صادق نوئها

وفى كل حال لم تزالى بخيلة فكيف أعرت الشمس حلة ضوئها (٩٢)

على أن هناك بعض الفقهاء المنحرفين الذين شاركوا فى أشعار المجون والخمر مثل " أبو إسحاق الألبيرى " فى حين وقف بعضهم مهاجماً لهذا الاتجاه على الرغم من أن معارضتهم كانت تضر أصحاب هذه التجارة وكذلك الضريبة التى كانت تجبى عليها مثل الفقيه "ابن حزم " (٩٣) .

٧ ـ **شعر الرثاء** : كثرت مشاركات الفقهاء فى هذا الغرض من الشعر ومن ذلك ماكتبه الفقيه " ابن حزم " فى رثاء الدولة الأموية بعد أن أيقن أنها لن تعود فقال :

جعلت اليأس لى حصناً ودرعاً فلم ألبس ثياب المستضام

وأكثر من جميع الناس عندى يسير صاننى دون الأنام

إذا ماصح لى دينى وعرضى فلست لما تولى ذا اهتمام (٩٤)

وكتب " أبو الوليد الباجى " فى رثاء ولده محمد الذى توفى فى حياته :

أمحمد إن كنت بعدك صابراً صبر السليم لما به لايسلم

ورزئت قبلك بالنبى محمد ولرزؤه أدهى لدى وأعظم (٩٥)

(٩٢) ابن دحية : المطرب فى أشعار المغرب ، ت. مصطفى عوض الكريم ، الخرطوم ،سنة ١٩٥٧م ، ص ٢٧٩ .
(٩٣) ابن حزم : مخطوطة القسطنطينية التى حللها أسين بلاثيون ، مجلة الأندلس ، م٢ ، ع ١ ، ص٣٧ ـ ٤٣ نقلاً عن هنرى بيرس : الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف ، ص ٣٢٣ .
(٩٤) ابن حزم : طوق الحمامة ، ص ١٥٥ .
(٩٥) ابن خاقان : قلائد العقيان ،جـ٣ ،ص٦٠٥ .؛ ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، جـ ١، ص١٠١ .

obeikandl.com

وللفقيه " أبو الوليد الوقشى " شعر رثاء فى ضياع بلنسية وسقوطها فى يد النصارى ، وتعد قصيدته من أعظم ماكتب فى ضياع بلنسية على حد قول الأدباء ، وإن كان نصها ضائع ولايوجد سوى ترجمة لها باللغة الأسبانية فى المدونة العامة (٩٦) .

وفى رثاء بلنسية كتب " أبو المطرف بن جحاف " قائلاً :

لإن كـــان الزمـــان أراد حطـــى ... وحـــــاربنى بـــــأموال وظفـــــر

كفـــانى أن تـــصافينى المقـــالى ... وإن عـــــاديتنى يـــــاأم دفـــــر

فمـــا اعتـــز اللئـــيم وإن تـــسامى ... ولاهـــان الكـــريم بغـــير وفـــر (٩٧)

٨. **شعر الهجاء** : وهذا النوع من الشعر يتنافى فى أغلبه مع تعاليم الإسلام السمحة لما به من تعريض بالأشخاص وذكر لعيوبهم ، ومع ذلك فقد شارك بعض الفقهاء فيه مثل الفقيه " أبى إسحاق الألبيرى " الذى هجا الفقيه " أبا بكر بن الحاج " ، كما كتب يهجو فقيهاً يطلب الكيمياء فقال :

مـــاأهون الـــنفس علـــى الباطـــل ... وأهـــــون الـــــدنيا علـــــى العاقـــــل

ترضـى الفتـى فـى عاجـل شـهوة ... لـــــو خـــــسر الجنـــــة فـــــى الآجـــــل

يبيـــع مـــايبقى بمـــا ينقـــضى ... فعـل الـسفيه الأحمـق الجاهـل (٩٨)

وإذا كـان الألبيرى قـد أخـذ هـذا الموقـف مـن علمـاء الكيمـاء أو مـن الفقهـاء الـذين درسـوا هـذا العلـم فـلا ينبغـى أن يؤخـذ علـى أنـه موقـف مـن جمهـرة الفقهـاء مـن العلـوم التجريبية حيث اهتم بعضهم بمثل هذه العلوم .

وسبقت الإشارة إلى الأشعار التى هجا بها الفقهاء اليهود ومعهم " باديس بن حبوس " مثل " أبو إسحاق الألبيرى " و " ابن العسال " و " السميسر " ، ومع أن هذا النوع

(٩٦) الطاهر مكى : دراسات أندلسية فى الأدب والتاريخ والفلسفه ، ص ٢٥٠ ـ ٢٦٣ .
(٩٧) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٤٨٢ .؛ هنرى بيرس : الشعر الأندلسى ، ص ٤٠٠ .
(٩٨) أبو إسحاق الألبيرى : ديوانه ، ص ٥٩ .

من الشعر لا يتفق . كما سبق القول . مع طبيعة التعاليم الإسلامية حتى أن الفقيه "ابن حزم" قد علق على ذلك قائلاً :" فإن هذا الضرب أفسد الضروب لطالبه فإنه يهون على المرء السكون فى حالة أهل السفه من كناس الحشوش والمعناه لصناعة الزمير المتكسبين بالسفاهة والنذالة والخساسة وتمزيق الأعراض وذكر العورات وانتهاك حرم الآباء والأمهات ، وفى هذا حلول الدمار فى الدنيا والآخرة " (٩٩) ، إلا أن بعض الفقهاء المشهورين بقرض الشعر مثل " ابن العسال " و" السميسر " وغيرهما قد كتبوا فى الهجاء أشعاراً كثيرة قبل أن يتوبوا ويندموا على أفعالهم ، وإن كان هناك نوع من الهجاء الايجابى مثل القصيدة التى هجا فيها " أبو إسحاق الألبيرى " باديس بن حبوس ووزيره " ابن النغريله " والتى أسهمت فى إثارة أهل غرناطة وتخلصهم من هذا الوزير.

٩ . أشعار كتبت فى الفقهاء : كان الفقهاء محور إهتمام الكثير من الشعراء فكتبوا فيهم أشعار المدح والرثاء ، فكتب " ابن دراج القسطلى " شعراً مدح فيه أحد القضاه قائلاً :

بحكم العدل من قاضى السماء حبـــاك بحـــق أحكـــام القـــضاء
وراثـــة مـــورث الأبنـــاء مـــما تحلـــى مـــن تـــراث الأنبـــياء (١٠٠)

وكتب " ابن دراج " شعراً آخر رثى فيه أحد الفقهاء :

ماأحسن الصبر فيما يحسن الجزع وأوجد اليأس ماقد أعدم الطمع (١٠١)

وكتب " أبو الوليد بن زيدون " رثاءاً فى القاضى " ابن ذكوان " :

أبـــو بكـــر فـــراع لـــه الـــورى هـــول تقاصـــر دونـــه الأهـــوال
قمر هوى فى الترب تحثى فوقه للّه ماحـــاذ الثـــرى المنهـــال (١٠٢)

(٩٩) ابن حزم : رسالة فى مراتب العلوم ، ص ٦٨ .
(١٠٠) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ، صفحات متفرقة .
(١٠١) ابن دراج : ديوانه ، ص ٢٧٠ .
(١٠٢) ابن زيدون : ديوانه ، ت. كرم البستانى ، دار صادر ـ بيروت ـ ب.ت. ، ص١٨٦ ،١٨٧ .

وكتب " ابن شهيد " شعراً رثى فيه " أبى العباس بن ذكوان " قال فيه :

يسير به النعش الأعز وحوله أباعد كانوا للمصاب أقاربا

عليه حفيف للملائك أقبلت تصافح شيخاً ذاكراً لله تائبا

تخال حفيف الناس حول ضريحه خليطاً تخطى فى الشريعة لاهبا (١٠٣)

وكتعبير عن حب العامة للفقيه " أبى العباس بن ذكوان " لم يقتصر رثاؤه على " ابن شهيد" بل شارك الكثير من الشعراء فى ذلك ومنهم " ابن الخياط " الذى كتب يقول:

عفا على الأيام بعد ابن ذكوان وقبحاً لدنيا غيرت كل إحسان

سأبكى دماً بعد الدموع بعبرة تغير إحسانى وتعبر عن شانى

وإن حياتى اليوم بعد وفاته دليل بأن العذر فى كل إنسان (١٠٤)

وقد تناول بعض الشعراء الفقهاء بالسخرية والتهكم والهجاء مثل الشاعر " ابن خفاجه " الذى هجا المتمسحين فى الدين قائلاً :

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم فيها صدور مراتب ومجالس

وتزهدوا حتى أصابوا فرصة فى أخذ مال مساجد وكنائس (١٠٥)

وعلى الرغم من أن بعض الفقهاء قد سايروا ركب الشعراء نظماً أو مشاركة فى جلساتهم إلا أنهم قد واصلوا إحاطتهم بالشعر بإطار من القيم الأخلاقية التى استقوها من الإسلام نقداً أو تعليقاً وعبروا عن ذلك من خلال الشعر الذى نظمه بعضهم ، فقال بعضهم :

أنا أحب الشعر لكننى أبغض أهل الشعر بالفطرة

فلست تلقى رجلاً شاعراً إلا وفيه خلة تكره

(١٠٣) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٣٣٥ .
(١٠٤) النباهى : قضاة الأندلس ، ص ٨٧ .
(١٠٥) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٢٨١ .

إن لم يكـــن كفـــر تكـــن آفـــة تـــــلازم الظهـــــر أو الـــــسرة
والعجب والنوك إلى الجهل فى أكثـــرهم إلا مـــع النـــدرة (١٠٦)

كما شارك بعضهم الآخر من خلال كتاباته مثل الفقيه " ابن حزم " الذى دعا إلى تحاشى الكذب وتحاشى نظم الشعر فى أهداف تحض عليه فقال :" صنفان من الشعر لاينهى عنهما نهياً تاماً ولا يحض عليهما بل هما عندنا من المباح المكروه وهما المدح والرثاء فأما إباحتهما فلأن فيهما ذكر فضائل الموت والممدوح ، وهذا يقتضى للراوى ذلك الشعر الرغبة فى مثل ذلك الحال ، وأما كراهتنا لهما فإن أكثر مافى هذين النوعين الكذب ولاخير فى الكذب " (١٠٧) .

ب. النثر:

ومن فنون النثر فى الأندلس فن الرسائل التى تنقسم إلى نوعين رسائل ديوانية ورسائل إخوانية ، أما الرسائل الديوانية فتكون رسمية من الحاكم إلى عمال الولايات مثلاً، أما بالنسبة إلى الرسائل الإخوانية فتكون بين الأصدقاء والإخوة وهى التى برع فيها الفقهاء مثل رسالة الفقيه " أبو عبيد البكرى " إلى " المعتمد بن عباد " التى هنأه فيها بانتصار المسلمين فى الزلاقة فقال :" فغدا الدين جديداً والإسلام سعيداً والزمان حميداً وعمود الدين قائماً وكتاب الله حاكماً " (١٠٨) .

كما برع الفقهاء فى فن الخطابة مثل الفقيه الأديب " ابن سيدة " ، فقد أورد "ابن بسام" خطبته التى رد فيها على نقد " ابن أرقم " له فقال :" تأملوا واعتبروا ياأولى الأبصار قد علم الكبير والصغير والخطير والحقير أن الشيب معيب وأن السواد مرغوب وأن آدم عليه السلام لما رأى شيبة بلحيته فزع منها .. " (١٠٩) .

(١٠٦) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ٢ ، ص ٨٩٣ .
(١٠٧) ابن حزم : رسالة مراتب العلوم ، جـ ٤ ، ص ٦٨ .
(١٠٨) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٣٦ .
(١٠٩) نفس المصدر : ق ٣ ، جـ ١ ، ص ٣٨٩ .

obeikandl.com

وتعد **المناظرات** من فنون النثر، وتنقسم إلى مناظرات خيالية تكون بين شخصين على شكل رسائل، وهناك مناظرات غير خيالية وتكون بين الأدباء وتدور حول الإشادة والفخر بمناقب الأندلس أو بين مدنها ، حيث تفخر كل مدينة بما خصها الله به من مزايا ومحاسن

لا توجد فى غيرها . ومن ذلك رسالة للفقيه " ابن حزم " بين فيها فضائل علماء الأندلس وشملت رداً على رسالة لـ " ابن الربيب القيروانى " الذى ذكر فيها تقصير أهل الأندلس فى تخليد أخبار علمائهم ومآثر فضائلهم وسير ملوكهم (١١٠) ، ولعل فى ذلك ما يذكر بأسواق مكة الأدبية التى كانت تحدث بين القبائل فى العصر الجاهلى كسوق عكاظ وغيره .

علم التاريخ والأخبار

اعتنى الفقهاء منذ العصر الأموى بتدوين التاريخ والمساهمة فى مؤلفاته ، ومن الفقهاء الذين اهتموا بهذا العلم الفقيه " الحسين بن عاصم " الذى ألف كتاب (المآثر العامرية فى سيرة المنصور بن أبى عامر) (١١١)

والفقيه "أحمد بن عبدالرحمن بن مطاهر الأنصارى" وكنيته أبو جعفر الذى كان يميل إلى تقييد الخبر ، وقد ألف كتاب (تاريخ فقهاء طليطلة وقضاته) وقد توفى سنة ٤٨٩هـ ١٠٩٧م (١١٢) .

ومن الفقهاء الذين اعتنوا بحفظ الخبر الفقيه "محمد بن عتاب بن محسن" مولى عبدالملك بن سليمان (ت. ٤١٤هـ١٠٢٢م) (١١٣) ، والفقيه " سعيد بن أحمد بن يحيى بن زكريا المرادى الشقاق " وكنيته أبى عثمان (ت. ٤٢٥هـ١٠٣٣م) (١١٤) .

---

(١١٠) عبدالعزيز عتيق : الأدب العربى فى الأندلس ، ص ٤٧٣ .
(١١١) الحميدى : جذوة المقتبس ، ق١ ، ص ٣٠٠ .؛ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ١٤٠ .
(١١٢) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٧٣ .
(١١٣) نفس المصدر، جـ ٢ ، ص ٥١٥ .
(١١٤) نفس المصدر ، ص ٢١٤ .

openkanar.com

ومن الفقهاء الذين اهتموا بكتابة أخبار قرطبة وسيرة المروانيين الفقيه "سوار بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن مطرف بن سوار بن دحون بن سوار" (ت. ٤٤٤هـ١٠٥٢م) وكنيته أبو سويد (١١٥) .

أما الفقيه " ابن حزم " فقد قسم التاريخ إلى فروع فذكر :" علم الأخبار ينقسم على مراتب إما على الممالك أو على السنين وإما على البلاد وإما على الطبقات أو منثوراً فأصح التواريخ عندنا تاريخ الملة الإسلامية ومبدؤها وفتوحها وأخبار خلفائها وملوكها والمنتزين عليهم وعلمائهم وسائر ما انتظم بذلك " (١١٦)، واعتبر" ابن حزم" أن علم الأنساب مرتبط بعلم التاريخ وأنه جزء منه (١١٧) ،كما وضع منهجاً علمياً لدراسة التاريخ حيث نوه إلى ضرورة الاستناد إلى الوثائق والمصادر الخاصة بالحقبة المعنية بالدراسة حيث ذكر :" وأما الأمم الدائرة من القبط واليمانيين والسيريانيين والأشمانين وعمون وموآب وسائر الأمم فقد بادت أخبارهم جملة ، فلم يبق منهم إلا تكاذيب وخرافات ، وأما الفرس فلا يصح شئ من أخبارهم إلا من كان من عهد دارا بن دارا فقط وأصح أخبارهم .... فالطالب للأخبار لاينبغى له ألا يشتغل إلا بما أعلمناه بصحته ولاينبغى له قطع وقته بما لايجدى عليه نفعاً"(١١٨) .

وكان للفقيه " ابن حزم " إسهامه فى كتابة التاريخ فكتب (رسالة الرد على ابن نغريله " و (رسالة فى الإمامة والخلافة فى سير الخلفاء) و فى تاريخ الأندلس (ذكر أوقات الأمراء وأيامهم فى الأندلس) وكذلك (نقط العروس فى تاريخ الخلفا) (١١٩) وكتب فى تاريخ الأديان كتابه المشهور (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) وفى الأنساب كتابه (جمهرة أنساب العرب) (١٢٠) .

---

(١١٥) نفس المصدر ، ص ٢٢٤ .
(١١٦) رسالة مراتب العلوم ، ص ٧٩ .
(١١٧) نفس المصدر ، ص ٨٠ .
(١١٨) رسالة مراتب العلوم ، ص ٧٩ .
(١١٩) رسائل ابن حزم ، ت. إحسان عباس ، أربعة مجلدات ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٨٧م .

وشارك الفقيه " ابن صاعد الطليطلى " (ت. ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م) بكتابه (طبقات الأمم) [١٢١] . أما الفقيه " أبو عمر يوسف بن عبدالبر " فقد ألف كتابين هما (الإستيعاب فى سير الأصحاب) و (الدرر فى إختصار المغازى والسير) إلى جانب كتاب آخر هو (نزهة المستمعين وروضة الخائفين) . وكذلك الفقيه " أبو بكر الطرطوشى "الذى كتب (سراج الملوك) الذى وضع قواعد منظمة للحكم وتناول فيه تاريخ حكام مصر [١٢٢] .

علم الوثائق :

وكانت للفقهاء مساهمتهم فى علم الوثائق أيضاً [١٢٣] ومنذ العصر الأموى من أمثال الفقيه " يمن بن أحمد بن يمن التجيبى " (ت. ٣٩٠هـ ٩٩٨م) [١٢٤] . ومن الفقهاء الذين برزوا فى هذا العلم فى القرن الخامس الهجرى الفقيه " أحمد بن محمد بن عفيف بن عبدالله بن مريول بن جراح بن حاتم الأموى " وكنيته أبو عمر (ت. ٤٢٠هـ ١٠٢٨م) حيث اعتنى بالوثائق والشروط وتولى وظيفة عقد الوثائق السلطانية للخليفة المهدى فى قرطبة ثم هجرها فى عصر الفتنة [١٢٥] . وفى نفس الفترة فى إشبيلية كان الفقيه " أحمد بن عبدالقادر بن سعيد بن أحمد بن عبدالقادر الأموى " وكنيته أبو عمر الذى ألف كتاباً فى علم الوثائق هو (المحتوى) من خمسة عشر جزءاً [١٢٦] ، وكذلك الفقيه " خلف بن مسلمة بن عبدالصبور " وكنيته أبو القاسم وهو من أهل إقليش حيث أخذ عن " ابن الهندى " و " ابن العطار " كتاب (الوثائق والسجلات) [١٢٧] .

---

(١٢١) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ .

(١٢٣) المقصود بالوثائق العقود التى تكتب بين الناس لتنظيم معاملاتهم وإثبات حقوقهم ، وهذه الوظيفة ظهرت فى الأندلس وهى تقابل الشاهد العدل . وهناك شروط فى كاتب الوثائق كالخبرة الفقهية ووضوح الخط واللفظ المتقن أى إجادة اللغة العربية . أنظر رسالة ابن عبدون ، ص ١٣ .

(١٢٤) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٦٥١ .

(١٢٥) ابن بشكوال : الصلة ،جـ ١، ص ٤٢ .؛ القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص٧٣٥ . وذكر القاضى عياض أنه توفى سنة ٤١٠هـ .

(١٢٦) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٤٤ .

(١٢٧) نفس المصدر ، ص ١٦٥ .

وقد ألف الفقيه " ابن سعيد " المعروف بابن سرحان المرى (ت. ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) كتاباً فى الوثائق هو (المفيد) (١٢٨) ، كما ألف الفقيه " أبو محمد عبدالله بن فتوح السبتى " (ت. ٤٦٠هـ / ١٠٦٨م) كتاب (الوثائق المجموعة) (١٢٩) .

ثانياً: العلوم العقلية والعملية

شهد القرن الخامس الهجرى تطوراً وازدهاراً فى كافة العلوم نظراً لما اعتاده ملوك الطوائف من استجلاب العلماء والشعراء ومأأدى إليه ذلك من تنافس فكرى وحضارى بين المدن فلم تعد قرطبة وحدها مركزاً للعلوم بل شاركتها العديد من المدن فمجاهد العامرى فى دانيه حرص على جمع العلماء ، والمعتمد بن عباد فى إشبيلية جعل منها مركزاً للشعر والشعراء .

الفلسفة وعلم الكلام : على الرغم مما سبق ذكره فقد تأخر إنتشار الفلسفة فى الأندلس إلى مابعد توطد ملك بنى أمية فيها (١٣٠) ، كما أنها بدأت قليلة فى القرن الثالث الهجرى . وقد وصلت الفلسفة إلى الأندلس عن طريق المشرق بعد أن إنتشرت الفلسفة اليونانية فى الشام لمعرفة أهلها بهذه اللغة (١٣١) . وقد ذكر أن أول من اعتنى بها هو " الناصر " الذى كان يعد حامياً للفلسفة ، ثم واصل العناية بهذا العلم وغيره من العلوم " الحكم المستنصر" ، ولكن بعد وفاته قام " المنصور بن أبى عامر " بحرق كتب الفلسفة ولم يترك سوى الكتب الدينية وكتب الطب والحساب (١٣٢) وأصبحت الفلسفة من العلوم الخارجة عن الدين ، وإن كان بعض المؤرخين قد أنكروا ذلك وذكروا أن " المنصور بن أبى عامر " كان محباً للفلسفة وأنه قام بحرق

(١٢٨) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٧٨٨ .
(١٢٩) نفس المصدر ، ص ٨٣٠ .
(١٣٠) ابن صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٥٥ .
(١٣١) أحمد فؤاد الأهوانى : الفلسفة فى الأندلس ، ص ١٠٢ .
(١٣٢) ابن صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٦٤ .؛ خوليان ريبيرا : التربية الإسلامية فى الأندلس ، ت. الطاهر مكى ، دار المعارف ، القاهرة ب. ت. ، ص ٣٧ .؛ عبدالعزيز عتيق : الأدب العربى فى الأندلس ، ص ٧٩ .

مجموعة منها فقط وليست جميعها وبقصد إرضاء العامة ، وأشار بعضهم إلى أن الرغبة فى الفلسفة قد ارتفعت بعد ذلك وأن علماءها قد عظم شأنهم فى القرن الخامس الهجرى حيث قاربت منزلة الفقيه مستدلين على ذلك بما ذكره "ابن زيدون" فى مدح " المعتضد بالله بن عباد " (١٣٣) . ولعل ذلك يوضح أن انتشار العلوم فى الأندلس قد ارتبط برغبة الحكام أو تشجيعهم فانتشار علوم الدين وازدهارها ارتبط بتشجيع الحكام ، أما الفلسفة والمنطق فقد حدث لها عكس ذلك .

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن فقهاء المالكية فى الأندلس منذ العصر الأموى لم يتقبلوا علم الفلسفة والمنطق واعتبروا دراستها خروجاً على الملة واتهموا دارسها بالإلحاد (١٣٤) . وظل الفقهاء على موقفهم من الفلسفة بشكل جعل تطورها وظهورها مشوباً بالقلق والخوف أمام حرص الفقهاء الدائم على مقاومتها والوقوف فى سبيلها (١٣٥) .

وشهد القرن الخامس الهجرى شيئاً من الإنفراج لهذا العلم الذى ارتبط باستنارة بعض الفقهاء ، بل إنه قد تطور على يد بعضهم مثل الفقيه " ابن حزم " الذى كان له تأثيره الواضح فى ذلك كما أنه ألف فيه كتاب (التقريب لحدود المنطق) استخدم فيه أمثلة فقهية وجوامع شرعية وخالف فيه آراء أرسطوطاليس ، وكتاب (الرد على الكندى الفيلسوف) و (تنوير القياس) فى المنطق ، وكتاب (الأخلاق والسير) الذى تناول الفلسفة الأخلاقية ، كما تناول فى كتابه (الملل والأهواء والنحل) فلسفة اللاهوت (١٣٦)

---

(١٣٣) ابن زيدون : ديوانه ، ص ١٩ .
(١٣٤) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس ، الإسكندرية ،سنة ١٩٨٥م ، ص٢٩٠ .
(١٣٥) أحمد فؤاد الأهوانى : الفلسفة فى الأندلس ، ص ٩١ .
(١٣٦) ابن صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .؛ القفطى : أخبار العلماء ، ص ١٥٦ .؛ رسائل ابن حزم ، رسالة التقريب لحدود المنطق ، ص ٦٠ .؛ هنرى كوربان : الفلسفة الإسلامية من الينابيع حتى وفاة ابن رشد ، ت. نصير مروة و حسن قبيس ، منشورات عويدات ، بيروت ،سنة١٩٨٣م ، ص ٢٣٧ .

وإن كان هذا الفقيه قد تعرض لحرق كتبه وبخاصة كتب الفلسفة والمنطق من " المعتضد ابن عباد " .

على أن " ابن حزم " كان ظاهرى المذهب وربما كان لذلك أثر فى إتجاهه فضلاً عن انه فى ذاته كان ظاهرة فريدة ، أما الغالبية من فقهاء المالكية فظلوا على رفضهم لعلم الفلسفة أو على الأقل تعامل بعضهم معه بحذر شديد ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره "أبو الوليد الباجى" فى وصيته لولديه حيث حذرهما من دراسة الفلسفة إلا على سبيل التحقق من بطلانها وعدم صلاحيتها حتى ولو كان ذلك قائماً على خدمة الدين (١٣٧) .

وعلى الرغم من ذلك فإن بعض فقهاء المالكية قد تخطوا الحاجز إلى علم الفلسفة وكان إقترابهم منه واهتمامهم به من أهم أسباب رواجه ، ومن هؤلاء الفقهاء " أبو الوليد الوقشى " الذى أشار " ابن صاعد " إلى تميزه فى صناعة المنطق (١٣٨) ، وقد درس " ابن صاعد " على يديه الفلسفة والمنطق (١٣٩) .

أما النظرة العامة للفلاسفة فظلت تعتبرهم زنادقة الأمر الذى أدى إلى تخفى أهل هذا العلم فى الغالب كما ورد عند " ابن سعيد " فى تذييل رسالة ابن حزم فذكر : " أن الفلسفة علم ممقوت فى الأندلس لايستطيع صاحبه إظهاره فلذلك تخفى تصانيفه"(١٤٠) . ولعل ظاهرة التخفى تعود جذورها إلى بداية ظهور هذا العلم ، فمنذ العصر الأموى تخفى الفقهاء وغيرهم من إظهار علمهم بذلك مثل " أبوعبدالله محمد بن مسرة بن نجيح الكلبى" (ت. ٣١٨هـ٩٣١م) حيث كان قد تأثر بالمعتزلة وظهرت له آراء فلسفية مناقضة لآراء أهل السنة ولكنه كان يخفيها متظاهراً بالصوفية أمام فقهاء المالكية ، وبعد أن افتضح أمره وكتب عنه الفقيه " ابن الحباب " هرب من قرطبة فى أواخر عهد الأمير عبدالله متجهاً إلى

(١٣٧) أبو الوليد الباجى : وصية الباجى لولديه ، المجلد الأول ، ص ٢١ .
(١٣٨) ابن صاعد الطليطلى : طبقات الأمم ، ص ١٧٨ .
(١٣٩) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ .
(١٤٠) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ١٧٩.

المشرق ، وله كتاب (التبصرة) و (الحروف) وكذلك بعض المقالات التى قال عنها الحميدى :" وله مقالات نعوذ بالله منها " (١٤١) . وذكر " ابن الفرضى " أن الناس إنقسموا فى رأيهم فيه إلى فرقتين فرقة تبلغ به مبلغ الإمامة والزهد وفرقة تطعن عليه بالبدع (١٤٢) ، كما ذكر " ابن حزم " بعض جوانب من فلسفة " ابن مسرة " الدينية (١٤٣) . أما عن موقف الحكام من آرائه فإن الخليفة " عبدالرحمن الناصر "قد أنفذ إلى الأندلس بأسرها خطاباً نكل فيه بـ " ابن مسرة " واتباعه وأمر الفقهاء بعدم التهاون معهم. وتغير الموقف فى عهد " الحكم المستنصر " حيث كثر أتباع " ابن مسرة " وكونوا المدرسة المسرية التى ازداد نشاطها بعد وفاته (١٤٤) ، أما الفقهاء فقد اتهموه بالزندقة وكرهوه وشنعوا عليه وعلى أتباعه .

وقد قام الفقيه " أبو بكر محمد بن يبقى بن زرب " (ت. ٣٨١هـ ٩٨٩م) بمتابعة أتباع " ابن مسرة " واستتابتهم ووضع كتاباً سماه الرد على ابن مسرة) (١٤٥) ، وقد عاقب " ابن زرب" اتباع " ابن مسرة " مرتين الأولى فى عهد " الحكم المستنصر"حيث قام بحرق كتبهم والثانية حين أصبح قاضياً سنة ٣٨١هـ وهى المرة التى استتابهم فيها (١٤٦) .

وعلى الرغم من ذلك لم تتوقف مدرسة " ابن مسرة " فى القرن الخامس الهجرى حيث ظهرت على يد "إسماعيل بن عبدالله الرعينى" الذى أضاف أشياء جديدة على مذهب "ابن مسرة" (١٤٧) .

والجدير بالذكر أن علم الفلسفة كان فى نشأته مرتبطاً بالعلوم الأخرى كالطب والهندسة والحساب والمنطق وإن كانت هذه العلوم سابقة عليه .

---

(١٤١) جذوة المقتبس ، ق ١ ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .
(١٤٢) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ٢ ، ص ٦٨٨ .؛ الضبى : بغية الملتمس ، جـ١ ، ص ١٢٠ .
(١٤٣) ابن حزم : الفصل فى الملل ، جـ ٥ ، ص ٦٦ .
(١٤٤) ابن حزم : رسائله ، جـ ٢ ، ص ١٨٨ .
(١٤٥) نفس المصدر ، ص ١٨٨ .
(١٤٦) ليفى بروفنسال: الحضارة العربية فى أسبانيا ، ت. الطاهر مكى، دار المعارف ، طـ ٣ ، ١٩٩٤م ، ص ١٧٤
(١٤٧) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، جـ ٥ ، ص ٦٦ .

ولعل مماتجدر الإشارة إليه هو أن **المناظرات العلمية** تكون نتيجة طبيعية لعلم الفلسفة والجدل والمنطق حيث تقوى هذه العلوم القدرة عليها (١٤٨) ، وقد تستخدم هذه المناظرة فى أصول الفقه مثلما حدث بين الفقيهين " عيسى بن سهل "و"أحمد بن محمد ابن عبدالرحمن الأنصارى " المعروف بابن الحداد التى أدت به المناظرة إلى عمل (رسالة الامتحان لمن برز فى الشريعة والقرآن) ويبدو أن الغلبة كانت له فى المناظرة (١٤٩)

وقد تكون المناظرة حول كتاب معين مثل كتاب (الموطأ)، أو قد تكون عن كتاب لأحد الفقهاء فى حياته أو مماته ، أو تناول شخصية فقيه معين لإبراز إيجابيات وسلبيات عمله أو مذهبه أو منهجه أو مؤلفاته وتفنيد آرائه ،ويبدو أن هذا ماكان سائداً فى القرن الخامس الهجرى حيث ورد أن الفقيه"يحيى بن يحيى بن سعيد الأموى" (ت.٤٢٩هـ١٠٣٧م) المعروف بابن بلج نوظر عليه فى المسائل (١٥٠) ، وكذلك الفقيه " محمد بن على بن إبراهيم الأموى " (ت. ٤٧٩هـ١٠٨٧م) كان يناظر عليه فى الفقه (١٥١) والفقيه أحمد بن محمد بن رزق الأموى الذى كان مدار طلبة الفقه بقرطبة فى المناظرة والمدارسة (١٥٢) كما تمت مناظرة بين إثنين مختلفين فى العقيدة كالمناظرة التى تمت بين " ابن حزم " والوزير اليهودى " صموئيل بن النغريلة " سنة ٤٠٤هـ١٠١٢م فى مالقة(١٥٣) .

---

(١٤٨) ربط ابن خلدون بين الجدل وآداب المناظرة التى تعطى متسعاً فى الرد والقبول وتعين المتناظرين على الاستدلال والجواب والقدرة على الإحتجاج ، ومنها مايكون خطأ مما دعا الفقهاء إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً تكون حدوداً للمتناظرين فى الرد والقبول والاستدلال والإجابة والمعارضة والسكوت ، ولذلك قيل فيه أنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب فى الاستدلال التى يتوصل بها إلى حفظ رأى أو هدمه سواء كان ذلك فى الفقه أو غيره . أنظر ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٦٢ ويراعى الإختلاف بين المناظرات العلمية والمناظرات الأدبية التى ورد الحديث عنها فى فنون النثر .؛ عبدالمجيد التركى : المناظرات فى أصول الشريعة بين ابن حزم والباجى ، ت. عبدالصبور شاهين ومحمد عبدالحليم محمود ، دار الغرب الإسلامى - بيروت ،سنة١٩٨٦ م - ص ٤٣ .

(١٤٩) ابن الأبار : التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

(١٥٠) ابن بشكوال : الصلة ،جـ ٢ ، ص ٤٩٢ .

(١٥١) نفس المصدر ، ص ٥٢٥ .

(١٥٢) ابن بشكوال : الصلة ، جـ١ ، ص ٦٨ .

(١٥٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص ١٧٠ .؛ إحسان عباس : تقديم رسائل ابن حزم ، جـ ٣ ، ص ١٧ . وقد أشار ابن بسام أنه كان لابن حزم مع هذا اليهودى وغيره من أولى المذاهب المرفوضة من أهل الإسلام مجالس محفوظة وأخبار مكتوبة ومصنفات معروفة .

وقد تكون المناظرة بين فقيهين ينتميان إلى مذهبين مختلفين مثل المناظرة التى تمت بين " ابن حزم " و " الباجى " .

وقد ألف بعض الفقهاء كتباً أستخدمت فى المناظرة مثل الفقيه " أبو القاسم بن بهلول " المعروف بالبربرى (ت. ٤٤٤هـ١٠٥٢م) الذى ألف كتاب (التقريب) فى شرح المدونة حيث أستخدمه طلابه فى المناظرة (١٥٤) . كما أقام بعض الفقهاء مجالس للمناظرة مثل الفقيه " عبدالرحمن بن سعيد المروانى "المعروف بالطالوتى (ت٤٥٥هـ١٠٦٣م) حيث كان الفقهاء يأتون إلى مسجده للمناظرة (١٥٥) وكذلك الفقيه "جماهر ابن عبدالرحمن الحجرى "(ت.٤٦٦هـ١٠٧٤م) حيث كانت له مجالس يناظر فيها ويناظر عليه أحياناً ويعظ الناس فى نهاية مجلسه (١٥٦) .

ومن أشهر المناظرات التى حدثت فى القرن الخامس الهجرى المناظرة التى كانت بين قطبى الفقه فى الأندلس وهما الفقيه المالكى " أبو الوليد الباجى "والفقيه الظاهرى"ابن حزم"والتى تمت سنة٤٣٩هـ ١٠٤٧م فى ميورقة وبإيحاء من حاكمها " أحمد بن رشيق " الذى كان قد احتضن " ابن حزم " بعد خروجه من قرطبة . وأقام " ابن حزم " العديد من المناظرات مع فقهاء المالكية مثل " أبو الوليد بن البارية " (١٥٧) ، والفقيه "محمد بن عوف " وكذلك الفقيه " محمد بن سعيد " ، وقد رجحت كفة " ابن حزم " عليهم لدرجة دعت بعضهم للاستعانة بالباجى . وقد سبقت الإشارة إلى أن الغرض من هذه المناظرات كان سياسياً حيث أراد حاكم ميورقة تغليب المذهب المالكى على الظاهرى

(١٥٤) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٨٢٩ .
(١٥٥) نفس المصدر ، ص ٨١٨ .
(١٥٦) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ١٣٣ .
(١٥٧) أبو الوليد بن البارية من فقهاء ميورقة ، تعصب على ابن حزم فى المناظرة معه حتى حمل الوالى على سجنه أنظر القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٨٢٦ .؛ ابن الأبار : التكملة ، جـ ٢ ، ص ٧١٨ .

نظراً لأن الأندلس فى هذه الفترة قد واجهت موقفاً فريداً من نوعه وهو وجود خصوم للمذهب المالكى وحرص الحكام والعامة على تأكيد غلبة المذهب المالكى (١٥٨) .

وعلى الرغم من أن المناظرات قد أسهمت فى الثراء الثقافى الذى ساد القرن الخامس الهجرى فإن بعض المؤرخين قد تناول بعض الجوانب السلبية لها حيث رأوا أنها تنشر الجدل وتعمق الخلافات المذهبية كما أنها لم تسلم من الجوانب الشخصية وضربوا مثلاً على ذلك بما حدث بين " الباجى " و " ابن حزم " إستناداً إلى ما ذكره المقرى من أن الباجى حين ناظر ابن حزم قال :" أنا أعظم منك همة فى طلبى لأنك طلبته وأنت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب وأنا أسهر بقنديل بائت السوق " فرد عليه ابن حزم بقوله أن هذا الكلام عليك لا لك لأنك إنما طلبت العلم وأنت فى تلك الحال رجاء تبديلها فى مثل مالى وأنا طلبته فى حين ماتعلمه وذكرته فلم أرجوا إلا علو القدر العلمى فى الدنيا والآخرة فأفحمه (١٥٩) . كما أشار البعض إلى أن المناظرات كانت تؤدى إلى الفرقة وانقسام الناس إلى أحزاب فى وقت كانت الأندلس فى حاجة إلى الوقوف صفاً واحداً أمام أطماع النصارى ، ومن الصعب قبول هذا الرأى ذلك لأن المناظرة قد غلب فيها الجانب الإيجابى على الجانب السلبى ، كما أن العلماء الحق لايحولون الحوار العلمى أو الدينى إلى عداء شخصى وأن هذا لم يحدث بين " ابن حزم " و" الباجى " إلا وليد اللحظة دون أن يكون بينهما عداء بعد ذلك بدليل أن " ابن حزم " قد أثنى على " الباجى " فى أكثر من موضع ومن بين ثنائه قوله :" لولم يكن لأصحاب المذهب المالكى بعد عبدالوهاب إلا أبو الوليد الباجى لكفاهم " (١٦٠) ، وأكد الفقيهان بموقفيهما صحة المقولة الشائعة أن إختلاف الرأى لايفسد للود قضية .

(١٥٨) عبدالمجيد التركى : مناظرات الباجى وابن حزم ، ص ٥٧ .
(١٥٩) نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٢٨٦ .
(١٦٠) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٢٧٨ .

openkanal.com

علم الهيئة والجغرافيا :

عرفه ابن خلدون بأنه :" علم ينظر فى حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيرة ، ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك ، لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية " (١٦١) . وهذا العلم من العلوم التى ابتعد الفقهاء عنها بحجة أنه من العلوم الغيبية وأن دراسته بالتالى تعد خروجاً عن الدين ، وقد ظهر ذلك جلياً فى وصية الباجى لولديه حيث اعتبر أن من يعتقد أن هناك تأثير للنجوم والكواكب من أحداث فى الكون مخالف للشريعة الإسلامية ، ولكنه استثنى من ذلك الدراسات الفلكية المتعلقة بتعديل الكواكب (١٦٢) .

ولم يحل موقف الفقهاء من هذا العلم دون اتجاه بعضهم إلى دراسته مثل الفقيه"ابن شهر الرعينى"(ت٤٣٥هـ١٠٤٣م)(١٦٣)،والفقيه"محمد بن عمربن محمد"المعروف بابن غوث(ت٤٤٣هـ١٠٥١م)(١٦٤)،والفقيه"محمد بن أحمد بن محمد بن الليث" (ت٤٥٠هـ١٠٥٨م) (١٦٥) .

وإذا نظرنا فيما ذكره " ابن حزم " فى أن علم النجوم ينقسم إلى معرفة الهيئة والتعديل ببرهانه ثم الذى يذكرونه من القضاء لأدركنا أن الفقهاء قد فرقوا بين دراسة الفلك أو علم النجوم وبين التنجيم الذى حرمه الإسلام ، وقد ذكر " ابن حزم " عن التنجيم : " الإشتغال بأحكام النجوم لامعنى له ولايخلوا من أن يكون مايحكون من قضاياها حقاً أو باطلاً ، إذ لاسبيل إلى قسم ثالث ، فإن كان حقاً فما لها فائدة إلا إستعجال الغم والهم والبؤس والنكد ، لتوقع المرض والنكبات وموت الأحبة ... " (١٦٦) .

---

(١٦١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٨٦ .
(١٦٢) الباجى : وصية الباجى لولديه ، ت. جودة هلال ، ص ٢٢ .
(١٦٣) ابن صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٧٤ .
(١٦٤) نفس المصدر ، ص ١٧٣ .؛ بلنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٤٥١ .
(١٦٥) نفس المصدر ، ص ١٧٦ . وقد وجدت هذه الظاهرة فى القرن الرابع الهجرى متمثلة فى الفقيه يحيى بن يحيى بن السمينة ، أنظر : نفس المصدر ، ص ١٩٩ .
(١٦٦) ابن حزم : رسالة مراتب العلوم ، جـ ٤ ، ت. إحسان عباس ، ص ٦٩ و ٨٠ .

علم الرياضيات (الحساب والهندسة) :

عرفه " ابن حزم " بأنه علم العدد وقسمه إلى ضبط قوانينه ثم برهانه ثم العمل بذلك فى المساحات وغير ذلك . وقد اتجه كثير من الفقهاء إلى الاهتمام بعلم الحساب ودراسته والتأليف فيه لارتباطه لديهم بعلم الفرائض الذى يهتم بالمواريث وغير ذلك (١٦٧) كما أنه يعرفهم بأوقات الصلاة ومواعيد الصيام وماإلى ذلك ، وهومن العلوم التى شجع " الباجى " الفقهاء على دراستها مستشهداً بقول الله تعالى :" لتعلموا عدد السنين والحساب" (١٦٨) .

ومن الفقهاء الذين أولوا هذا العلم عنايتهم الفقيه " أحمد بن محمد بن أحمد بن الفرضى " المتوفى (ت. ٤١٣هـ١٠٢١م) الذى عمل مؤدباً للحساب وألف فيه كتابين أحدهما فى الفرائض والحجب على قول زيد بن ثابت والآخر فى الفرائض أيضاً (١٦٩) . وكذلك الفقيه " أحمد بن عبدالله الغافقى " المعروف بابن الصفار (ت. ٤٢٦هـ١٠٣٤م) الذى كان مقدماً فى علم الحساب والعدد (١٧٠) ،وكانت لكل من الفقيه"أبى محمدبن الشقاق" (ت.٤٢٦هـ١٠٣٤م)وابن القوطية"(ت.٤٢٩هـ١٠٣٧م) مشاركات فى علم الحساب والعدد (١٧١) . كما شارك فى التأليف فى هذا العلم كل من الفقيه " عبدالله بن غالب بن تمام الهمذانى " (ت.٤٣٤هـ١٠٤٢م) والفقيه " صالح بن عبدالله الأموى القسام " (١٧٢)

(١٦٧) نفس المصدر ، ص ٨٠ .
(١٦٨) الباجى: وصية الباجى لولديه، ت.جودة هلال، ص ٢٢؛ وانظر أيضاً ابن خلدون : المقدمة ،ص ٣٨١ ـ ٣٨٦
(١٦٩) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٣٨ .
(١٧٠) نفس المصدر ، ص ٤٦ .
(١٧١) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٧٢٩ .؛ ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص٣٤٢ و ٤٥٩ .
(١٧٢) ابن فرحون : الديباج ، جـ ١ ، ص ٤٣٥ .؛ ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٢٣٠ ووجد العديد من الفقهاء الذين اهتموا بدراسة الحساب والفرائض مثل الفقيه ابن مزين وابن شهر الرعينى وابن برغوث وابن الوليد القرشى المالقى وابن الليث وابن مغيث الصدفى وأبو مروان بن مالك وابن جماهر الحجرى وابن غالب الأموى وابن خضر الأنصارى وغيرهم .

علم الطب :

وقد قسمه " ابن حزم " إلى قسمين طب النفس وهو من نتيجة علم المنطق بإصلاح الأخلاق ومداواتها وصرفها عن الإفراط والتقصير وإقامتها على الإعتدال ، وطب الأجسام وهو ينقسم إلى معرفة الطبائع الجسمية ومعرفة تركيب الأعضاء والعلل وأسبابها وما تعارض به من الأدوية والأغذية وينقسم أيضاً إلى قسمين كالجبر والبتر والكى والقطع وعمل فى صرف قوى العلل بقوى الأدوية وهى الأخرى تنقسم إلى قسمين حفظ الصحة لئلا يحدث المرض ثم معاناة المرض (١٧٣) .

وقد بدأت العناية بهذا العلم فى الأندلس بنقل كتب النصارى مثل " ابقراط " و "جالينوس" وبقصد مداواة الملوك (١٧٤) ، واعتمد الأطباء فى بداية الأمر على نقل المختصرات الموجزة دون الرجوع للأصول ، ويبدو من هذا أن اهتمامهم بدراسة هذا العلم فى هذه الفترة كان قاصراً على الاستفادة منه دون دراسته فى حد ذاته . كما أن أغلب الأطباء فى العصر الأموى كانوا من اليهود والنصارى فى البداية حتى اتجه المسلمون إلى دراسة هذا العلم فى بغداد ثم عادوا ليعلموه فى الأندلس .

على أن القرن الخامس الهجرى قد شهد كثرة من الأطباء اليهود ، ويبدو أن ذلك كان من بين الدوافع التى جعلت الفقهاء تقبل على دراسة هذا العلم حتى لايستعينوا باليهود (١٧٥) .

ومن الفقهاء الذين اهتموا بدراسة هذا العلم فى العصر الأموى الفقيه " يحيى بن السمينة " . أما فى عصر ملوك الطوائف فقد شارك الفقيه " أبو الوليد الوقشى " والفقيه " أحمد بن يحيى بن أحمد بن سميق بن واصل " (ت. ٤٥١هـ١٠٥٩م) والفقيه

(١٧٣) ابن حزم : رسالة مراتب العلوم ، ص ٨٠ .؛ ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .
(١٧٤) ابن صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٨٥ .
(١٧٥) سالم يفوت : ابن حزم والفكر الفلسفى ، ص ٣٦٦ .

" أبو جعفر بن بكر " المعروف بالكندى (ت. ٤٥٤هـ ١٠٦٢م) [١٧٦] . فقد اعتنوا بهذا العلم ولهم اسهامات فيه .

وتعد أسرة بنى زهر من الأسر الأندلسية التى أشتهر أبناؤها بالطب ، فكان جدهم الأكبر الفقيه " محمد بن مروان بن زهر الأيادى الإشبيلى " (ت. ٤٢٢هـ ١٠٣٠م) فقيهاً حاذقاً ومتقناً لكثير من العلوم [١٧٧] ، وقد برع أولاده وأحفاده فى الطب مثل " أبو مروان عبدالملك " و ابنه " أبو العلاء زهر " وكذلك ابنه " أبو مروان بن أبى العلاء " و " أبو بكر بن زهر " [١٧٨] .

وكان الفقيه " أبو عبيدالله بن عبدالعزيز البكري"(ت. ٤٨٩هـ١٠٩٧م) له معرفة بالأدوية وقواعدها ومنافعها وأسمائها ونعوتها وكل مايتعلق بها وألف كتاباً فى ذلك هو (أعيان النبات والشجريات الأندلسية) [١٧٩] ، وذكر " ابن حزم " أن الفقيه "خلف بن عباس الزهراوى" قد ألف كتاباً فى الطب هو (التصريف لمن عجز عن التأليف) [١٨٠] .

وبشكل عام إذا كان للفقهاء موقف معاد لبعض العلوم إلا أنهم لم يتخذوا هذا الموقف من الطب حيث أقبل بعضهم على دراسته ، بل إن بعضهم قد أثنى على الطب والأطباء مثل الفقيه " السميسر " الذى كتب يقول :

كل علم ماخلا الشرع ... وعلم الطب باطل

غير أن الأول الطب ... على رأى الأوائل

---

(١٧٦) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٨٢١ .؛ ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ١٦٢ ، جـ ٢ ، ص ٥٩٠ .؛ ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء وطبقات الأطباء ، مكتبة الحياة - بيروت - ب. ت. ، ص٤٨٢ .؛ المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٣٤٩ .

(١٧٧)القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٣ ، ص ٧٤٧ .؛ ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٤٨٧ .؛ المقرى : نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص ١٣ .

(١٧٨) ابن أبى اصيبعة : طبقات الأطباء ، ص ٥١٧ .

(١٧٩) ابن صاعد : طبقات الأمم ، ص ٥٠٠ . وقد أورد ابن الأبار أن الفقيه عبدالرحمن اللخمى قد ألف كتاباً فى الطب هو (الأدوية المفردة) واستعمله الناس واستفادوا منه ، انظر : التكملة ، جـ٢ ، ص ٥٥١ .

(١٨٠) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ١٦٢ .

هـــل تمـــام الـــشرع إلا أن يكـــون الجـــسم عاطـــل

فإذا كان عليـلاً بطلت كل العوامـل (١٨١)

كما أن بعض الفقهاء قد عرفوا الطب النفسى وبخاصة فى القرن الخامس الهجرى (١٨٢).

وإذا كان بعض الفقهاء قد وقف متحجراً أمام استيعاب بعض العلوم التجريبية كالطب والحساب والهندسة وغير ذلك ، ونظروا نظرة إقلال إلى المشتغلين بها حيث اعتبروها أقل مرتبة من العلوم الدينية مما دعاهم إلى السخرية من الذين اتجهوا إليها فقد وجدت مجموعة منهم رفضت هذا المنظور واعتبرت أصحابه غير واعين بتعاليم الدين الإسلامى بشكل شمولى ، ودعت إلى وحدة العلوم وفق منظور إسلامى شامل يدعوا إلى النظر إلى كل العلوم سواء ارتكزت على أسانيد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أو كان لها نفعها باعتبار أن الاهتمام بالعلوم فى الإسلام مثل عقد لاتنفرط حباته ويكمل بعضه بعضا ، وإذا جاز أن نطلق على هذا البعض مدرسة فإن " ابن حزم " يعد من أبرز روادها إستناداً إلى قوله :" فمن ذلك وجدنا قوماً من طلاب العلم يزرون بسائر العلوم وهذا نقص عظيم شديد لا ينتفع به صاحبه فى قسمة الفرائض والمواريث وأن يعرف من المطالع ما يعرف به أوقات الصلوات ودخول شهر رمضان ووقت الحج ، وإن لم يعرف مضار المأكل والمشرب أوشك أن يتناول مايؤذيه ويضر به ، وذلك محرم وقد أمر رسول الله (ﷺ) بالتداوى فاتباع أمره فرض . فتعلم الطب فرض على الكفاية ومضيعه مضيع فرض والقرآن عربى فلا سبيل إلى أن يعلمه من لم يعلم العربية ولاسيما إن كان المذكور لم يتناول من الشريعة إلا علماً واحداً من علومها ، فهذا إنسان ناقص مسئ إلى نفسه مهلك لها ...

(١٨١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ٢ ، ص ٨٩٢ .
(١٨٢) ابن حزم : رسالة مراتب العلوم ، جـ٤ ، ص ٨٠ .

إلخ " (١٨٣) . على أن " ابن حزم " لم يكن يقصد بذلك أن يقلل من قدر المتخصصين فى علم واحد بل أراد إبراز قدر الإمام بأكثر من علم وأن الذى يقدر على ذلك هو أعلى مرتبة ، كما أنه كان مثلاً للفقهاء الذين وصلوا بالعلم إلى حد التجرد والبعد عن الهوى وعد اتخاذه وسيلة لجاه أو سلطان بل التبحر فيه لذاته (١٨٤) .

(١٨٣) نفس المصدر ، ص ٨٧ ، ٨٨ .
(١٨٤) نفس المصدر ، ص ٨٨ . وقد ذكر ابن حزم أن :" من طلب العلم ليفخر به أو ليمدح بـه أو ليكتسب بـه مـالاً أو جاهاً فبعيد عن الفلاح " .

obeikandl.com